الدروز

الدروز فرقة إسماعيلية اتسمت بطابع الباطنية، حيث أخفوا عقيدتهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية وقد نشأوا في إبان العصر الفاطمي وظلوا منطوين على أنفسهم. يضنون بعقيدتهم أن تذاع، ويحرصون على اعتقاداتهم أن تشيع وتعرف بين سائر الناس، ويفضلون كثيراً أن يوصفوا بالموحدين.

وهم يتفقون في كثير من العقائد الأساسية والاصطلاحات مع الإسماعيلية. ومع ذلك يفضلون استقلالهم عن سائر الفرق.

نشأة الدروز

قدمنا أن (محمد بن إسماعيل الدرزي) كان من دعاة تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي هرب إلى الشام وأذاع فيها دعوته فكانت أصل مذهب الدروز المبني على فكرة التناسخ والحلول.

وقيل بأن أحد قواد الحاكم بأمر الله يدعى (أبو منصور أنوشتكين الدرزي) هو الذي تنتسب إليه الطائفة ويجلونه حتى اليوم[1] أو هو (نشتكين الدرزي).

والدروز عرب خلص فهم من لخم وتنوخ وهما قبيلتان عربيتان لكل منهما ماض مشرف. وليس جميع أبناء القبيلتين يعتنقون المبادئ الدرزية، حتى أننا نجد أحياناً الأسرة الواحدة وقد ضمت فروعها مسلمين سنيين وإمامية ودروز. لذلك يطلق على أماكنهم في سورية (محافظة السويداء) جبل العرب. وقد شهروا بالشجاعة والبسالة. وكان لهم ماض مجيد في مقارعة المستعمرين في سورية ولبنان. كما حاربوا الصليبيين

(1) راجع كتاب سلسلة التاريخ الإسلامي ج1 ص 71 وكتاب إسلام بلا مذاهب ص 250.

تحت راية صلاح الدين وحاربوا التتار تحت راية الملك الظاهر بيبرس. وهم يتصفون بالأخلاق الكريمة والوفاء والوطنية.

موطن الدروز وجهادهم

يسكن ا لدروز حالياً بعض مناطق جبال لبنان، مثل مناطق الشوف والمتن، ولهم مدن ذات تاريخ مجيد في حركتهم مثل عبيه والشويفات وبعقلين وكان لهم في هذه المدن إمارات، وكان كثير من سكان (دار القمر) (المعروفة الآن بدير القمر) من الدروز. وفي الإقليم السوري يكثر الدروز في جبل حوران، وبالخصوص في محافظة السويداء ويطلق على جبالها (جبل العرب) ويكثر الدروز في هضبة الجولان (المحتلة الآن من قبل اليهود) وكان لهم في هذه الهضبة موقف مشرف حيث رفضوا الهوية الإسرائيلية، وأضربوا وقاطعوا وناضلوا وثبتوا، كما ثبتوا أمام الفرنسيين في معارك جبل العرب حيث واجهوا الدبابات والمصفحات بأجسامهم وسيوفهم فأعطبوها وقضوا على من فيها من الجنود. ولم يزل للدروز نصيبهم في الكفاح المتصل الحلقات، وخصوصاً في جبال لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي وحليفه الكتائبي.

وكذلك يكثر الدروز في الأرض المحتلة مثل صفد وعكا وجبل الكرمل وطبريا.

عقيدة الدروز

إن الدروز فرقة إسماعيلية باطنية. وهم يعتبرون أنفسهم الآن ولألف سنة مضت تقريباً في دور الستر، فلا يكشفون عن أمر عقائدهم وأئمتهم ما يلقي بعض الضوء على مذهبهم. فالستر الذي يسدلونه على عقائدهم جعل الكُتَّاب في كثير من الحيرة والحرج والتكهن والتناقض في مذهبهم. فمن المؤرخين من جعل منهم فرقة إسلامية صحيحة الإسلام كاملة الإيمان، ومن الكُتَّاب من نسب إليهم ما يخرج بهم عن حضيرة الإسلام. والدروز أنفسهم لم يحاولوا أن يردوا على هذه الاتهامات رداً حاسماً، لأنهم يحتفظون بكتبهم مخطوطة في أماكن أمينة، لا يطلع عليها إلا الثقات من علمائهم. وما دامت

العقيدة مكتنفة بالغموض، محوطة بالسرية، فإن النتيجة الطبيعية أن تتضارب حولها الآراء، وتتصارع إزاءها الأفكار ذات اليمين وذات الشمال[1].

ومع ذلك لم يترك المؤرخون الميدان فارغاً بدون كتابة تصل إلى الحقيقة حيناً وتتباعد أحياناً.

لا شك أن الدروز هم أتباع للحاكم بأمر الله، الخليفة الفاطمي المعروف، وقد كثرت أقوال المؤرخين حول الحاكم نفسه. فأكثرهم يقول: إن الحاكم ادعى الألوهية، وادعى تجسيم الإله وحلوله في شخصه، وظل على دعواه إلى أن اختفى موتاً أو قتلاً أو غيبة[2] حسب اختلاف المسميات. وإن داعية من دعاته اسمه (نشتكين الدرزي) قد بشر بألوهيته بين سكان وادي التيم في الأقطار الشامية في لبنان فآمن القوم به. كما يذكرون أن (حمزة بن علي)[3] فيلسوف المذهب قد صنف كتاباً ذكر فيه أن روح الله سبحانه وتعالى حلت في علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلى العزيز ثم إلى ابنه الحاكم. فالحاكم في نظر حمزة وأتباعه إله بطريق الحلول[4] وحمزة هو مؤسس العقيدة الدرزية، ومن أقدس الشخصيات عندهم حتى اليوم.

وقال الدكتور عبد الرحمن بدوي: يمكن أن نجمل عقائد الدروز فيما يلي:

1 - يعتقدون أن المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بـ(الحاكم بأمر الله) هو الصورة الناسوتية للألوهية، وإنه الأحد الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد. وأن الموحد (الدرزي) لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره. والطاعة هي العبادة. وأنه لا يشك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو

---

(1) راجع كتاب إسلام بلا مذاهب ص 263.

(2) الدروز يعتقدون بالغيبة أو الاختفاء للحاكم.

(3) هو حمزة بن علي بن أحمد الدرزي هو الإمام الأعظم هادي المستجيبين قائم الزمان عند الدروز (مذاهب الإسلاميين ص 510 ج2) وحمزة هذا تدل رسائله كميثاق (ولي الزمان) ورسالة (سبب الأسباب) وسائر كلامه على تأليه الحاكم. راجع إسلام بلا مذاهب ص 266.

(4) راجع كتاب إسلام بلا مذاهب ص 265 عن الدولة الفاطمية لحسن إبراهيم ص 353. وحسن إبراهيم ص 356 عن نهاية الأرب للنويري (المخطوط).

ينتظر. وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله، ساءه ذلك أم سره. ومن أقر أنه ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين[1].

2 - إن عدد الأرواح (أو النفوس) ثابت وتتناسخ الأرواح أي تنتقل إلى أجساد جديدة بعد الموت مباشرة، إلا الأرواح التي بلغت الكمال فإنها تصعد إلى النجوم.

3 - إن جميع الشرائع منقوضة سواء الشريعة الظاهرة والشريعة الباطنة. وحلت محلها ديانة التوحيد (الدرزية) وتبعاً لذلك تسقط عندهم أركان الشريعة الإسلامية الخمسة. ويقوم مقامها: صدق اللسان، وحفظ الأخوان، وترك البهتان، والبراء من الإبالة والطغيان، والتوحيد للمولى في كل عصر وزمان، والرضا بفعله كيفما كان، والتسليم لأمره في السر والحدثان[2]. ويا ليتهم يردون على هذا ويعلنون مبادئهم حتى ينجلي الغبار إذ يظهر من رسائل الدروز وكلام علمائهم أن منهاجهم في العقائد مقتبس من عقول سقراط العشر ومزيج من المذاهب الكلامية، أي أن الله تعالى علة الوجود، ومزيج من الفلسفات القديمة.

نجد في الرسالة (بدء الخلق): إن الباري سبحانه هو الإله العالُّ الذي كل شيء معلول بعلتِّه، فهو المبدع الحق والعقل الصدق، والعال الذي وقفت العقول حسراً عن إدراك لاهوتيته. فهو الجوهر العظيم في أزليته، وهو محرك الحركة بلا محرك سواه. ولم تزل هي (أي الحركة) به كما لم يزل هو بها. . .

كما نجد في مطلع رسالة (المناجاة) مناجاة ولي الحق:

«باسمك اللهم سبحانك، القديم، الأزلي عرشك، الشديد بطشك، نور الأنوار، في كل مثوى ومكان، خالق الأشياء وباريها، ومعلل العلل ومجريها. قدوس، قدوس، يا من أقرت له النفوس، وشهدت بأنه قبل الدهور الداهرة معبود.

---

(1) مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ج2 ص 509 عن رسالة ميثاق ولي الزمان.

(2) المصدر نفسه مذاهب الإسلاميين ص 510-512 ج2.

وفي الأزمان الغابرة موجود. رب الأنوار العلوية، والعناصر الأزلية. والعزة الفردانية الصمدية، واحد الذات، سرمدي الثبات . . . ».

وكذلك في رسالة (الدعاء المستجاب) نجد الأوصاف التالية:

«سبحانك يا مبدع الأشياء لا من شيء كان، ولا من مادة، ولا بآلة، ولا بمعين ولا بمثال صورة معلومة عنده، بل بوجوده وعلمه وإرادته أجراها وأنشأها. وأنشأ كل شيء منها بتقدير محكم، وفعل متقن، سبحانك يا مخترع العالمين، بما فيها من غرائب الصنع، ولطيف التدبير وخفي الكلمة والتقدير. . »[1].

فهذا ينبئ عن إيمان عميق (ولو أن أهل السنة يقررون أن الله تعالى فعال لما يريد بالاختيار لا بالعلة) وأكثر ظاهر الألفاظ لا يخرج عن مذاهب المتكلمين. لولا التأويل الباطني. وخلاصة القول أن العقيدة الدرزية مأخوذة من القرآن الكريم ومن ستة عشر كتاباً خطياً لا يسمح لأحد أن يطلع عليها غير المشايخ.

من علماء الدروز الأفاضل

لعل أكبر شخصية علمية بين الدروز، شخصية الأمير (جمال الدين عبد الله التنوخي). الذي ولد في (عبيه) بجبل لبنان عام 1417م وتوفي فيها عام 1479م وقبره فيها يزار، حفظ القرآن في سن مبكرة وجَوَّده ودرسه، وكان يطوف القرى في طلب العلم والحديث، حتى فاق الأقران[2].

ومن علماء الدروز الأفاضل (الشيخ محمد أبو هلال المعروف بالشيخ الفاضل). الذي تدلنا سيرته التي كتبها تلميذه الشيخ أبو علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي على أنه شبيه بجمال الدين التنوخي علماً وفضلاً. وقد تمسك بالقرآن الكريم وبالسنة

---

(1) راجع مذاهب الإسلاميين ج2 ص 665 وما بعدها.

(2) المرجع ذاته ج2 ص644 وإسلام بلا مذاهب ص 255.

ويأركان الإسلام[1]. وقد عاش الشيخ الفاضل في القرن الحادي عشر الهجري في قرية تدعى (كوكبة) في جبل الشيخ وتوفي سنة 1050هـ، ودفن في قرية (عين عطا) بوادي التيم بلبنان ولا زال قبره يزار حتى اليوم.

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينية إلى قسمين (العقال) و(الجهال):

1 - **العقال**: ويدعون بالأجاويد. لهم رئيسان دينيان يسميان بشيخي العقال. وقد يكون شيخاً واحداً يسمى شيخ العقال. والعقال هم المتمسكون بالقواعد السلوكية في المذهب من الامتناع عن التدخين وعن شرب الخمر، ويلتزمون التقشف في المأكل والملبس، ويتميزون عن الجهال بعمامة بيضاء، بتكوير خاص، على (طربوش) دون طرة، ويلبسون ملابس بسيطة هي القباء والعباءة بلون أزرق غالباً.

ويجب على (العقال) الصدق في القول، وتجنب الشهوات، ورفض الحرام من الطعام. والامتناع عن القتل والفسق والسرقة والزنى، والرياء، والغش، والحقد، والنميمة وسائر الرذائل. والامتناع من الحلف بالله صدقاً أو كذباً.

ولا يجوز للعاقل أن يخلو بامرأة أجنبية بدون شخص ثالث.

وشيوخ العقل هم الطبقة العليا من (العقال) فإنهم أحرص على الفضائل. وبعض الشيوخ يقيم في (الخلوات) وهي بيوت للعبادة تقام في أماكن منعزلة، وكثير منهم يقضون أوقاتهم في نسخ كتب الدروز المقدسة. وأشهر الخلوات، خلوات البياضة في حاصبيا في لبنان. هذا: وكل عاقل ارتكب القتل أو الزنى أو السرقة أو غيرها من الآثام يطرد من مجلس العقال، ويبقى مطروداً إلى أن تتحقق توبته[2].

2 - **الجهال**: (أما الجهال فهم سائر أبناء الطائفة الدرزية، ويسمون أيضاً «الشراحين» لأنه لا يسوغ لهم غير تلاوة بعض شروح الرسائل الدرزية) دون الرسائل نفسها، كما لا يسوغ لهم مطالعة القرآن الكريم. ويرخص للجهال بالتدخين

---

(1) ذات المرجع ص 653 وكتاب إسلام بلا مذاهب ص 260.

(2) مذاهب الإسلاميين ج2 ص 659 نقلاً عن دائرة المعارف.

والاستمتاع باللذات الدنيوية والترف في المعيشة. ولا يفرض عليهم لباس خاص، ولا يحضرون مجالس الحكمة، إلا في أوائلها حيث يقتصر على الوعظ والإرشاد العام. ولكن عليهم التحلي بالعفاف والطهارة، والفعل الجميل، والكرم بالعلم والمال، وخوف الله وطاعته، والرصانة، وصيانة العرض. وصدق اللسان وصونه عن الإفك والإثم والزور والبهتان. مع استمرار ذكر الله وتسبيحه وتقديسه، وتقديم الصلوات والتضرعات والتوسلات لعزته تعالى[1] والخلاف بينهم وبين (العقال) في هذه الأمور هو في الدرجة فحسب. فتنطبق الشدة مع العقال في تحصيل هذه الفضائل وممارستها دون الجهال.

فقه الدروز

أغلب الأحكام الفقهية التي ليس للدروز فيها تشريع خاص يتبعون فيها مذهب أبي حنيفة النعمان؛ وذلك لأن العثمانيين منذ أن فتحوا سورية ولبنان سنة 1516م فرضوا هذا المذهب في الأحكام الفقهية. وإن الدروز ينفردون عن مذهب أبي حنيفة في الأمور التالية:

1- **الوصية**: يرى الدروز أن للدرزي أن يوصي بما شاء من ماله، ولأي فرد شاء دون تقييد بمقدار معين بخلاف قيد ثلث المال كما في مذهب أهل السنة. وما زاد على الثلث مرهون بإجازة الورثة: - ولا تتقيد الدروز بأشخاص معينين بل للدرزي أن يوصي قبل موته بأملاكه كلها لمن شاء قريباً كان أو غريباً. ولذلك منحتهم الدولة العثمانية منذ القديم قاضي مذهب لدعاوى الوصايا.

2- **الزواج**: ليس من عادة الدروز التزوج بأكثر من امرأة واحدة في نفس الوقت، بل يقتصر على زوجة واحدة. وإذا طلق الدرزي زوجته بانت منه بينونة كبرى. فلا يجوز له أن يتزوجها مرة أخرى، ولو كان ذلك بعد زوج آخر.

فهم لا يميزون بين الطلاق الرجعي والطلاق البائن بنوعيه (بينونة صغرى وبينونة كبرى) وعلى هذا نصت المادة رقم 10، 11 من قانون الطائفة الدرزية في لبنان:

---

(1) المصدر نفسه.

لايجوز للرجل أن يجمع بين زوجتين، وإن فعل فزواجه من الثانية باطل والمادة 11 تنص: إن الطلاق مرة واحدة – ويمتنع على الرجل أن يعيد مطلقته.

وتتولى النظر في أمور الزواج عند الدروز في لبنان المحاكم المذهبية الدرزية. وهي التي أثبتت بموجب القرار رقم 2582 بتاريخ 25 أيار عام 1929 وتتألف المحكمة البدائية الدرزية من قاض فرد هو قاضي المذهب.

وتستأنف الأحكام الصادرة عن قاض المذهب الدرزي أمام هيئة عليا مؤلفة من شيخي العقل ومن أعلى القضاة المدنيين رتبة في الطائفة الدرزية. وتجتمع الهيئة بدعوة من شيخ العقل الأقدم انتخاباً. وإذا تعذر ذلك في مدة شهر من تاريخ استئناف الدعوة فللشيخ الثاني أن يقوم بدعوة الهيئة[1].

وقد أفصح بعض مشايخ الدروز الكبار للدكتور مصطفى الشكعة عن بعض العبادات، حيث سطرها في كتابه[2]:

1 – لا إله إلا الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله. وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود لهم المقام الأسمى بين الصحابة جميعاً، بعد علي بن أبي طالب[3].

2 – الصلاة: وهي تختلف عن صلاة جمهور المسلمين، بالطريقة وعدد الركعات. والوضوء ليس ضرورياً.

3 – الصوم: معناه الامتناع عن الرفث، ومعنى ذلك أنه يجوز الأكل والشرب مع الصوم وهو عشر أيام من ذي الحجة تنتهي بالعيد. وشهر رمضان مستحب عن غيره فيه يضاعف الأجر.

4 – الزكاة: معطلة، ولا حدود لها، وهي ليست فريضة، بل يمكن أن تكون بشكل صدقات.

---

(1) راجع في هذا (الزواج في الشرع الإسلامي والقوانين اللبنانية. بيروت. دار العلم للملايين 1960 ص 19) أما في سورية فقد نصت المادة 33 من المرسوم التشريعي رقم 98 بتاريخ 15/ 11/ 1965 على تأليف المحكمة المذهبية الدرزية.

(2) إسلام بلا مذاهب ص 292.

(3) نلاحظ هنا أن هؤلاء الصحابة تشيعوا لعلي وهم مقدسون عند الشيعة وهذا التقديس مأخوذ عن الإسماعيلية.

5 – الحج: لا يعتبر فرضاً. والدروز لا يؤمنون بمناسك الحج، ويسفهونها، ويرون فيها الوثنية.

6 – الزواج: هو كما مر. ولا يجوز زواج الدرزية من غير الدرزي، فإذا حدث زواج من هذا القبيل فإنه يكون باطلاً. والطلاق كما مر.

7 – والوصية كما مر ذكرها.

8 – لا يجوز لأي إنسان اعتناق المذهب الدرزي؛ فهو ليس بمفتوح. كما لا يستطيع درزي أن يحيد عن مذهبه. والإيمان بفكرة تقمص الأرواح أمر مؤكد، فما يكاد يموت شخص حتى تتقمص روحه شخصاً آخر. والروح الدرزية تتقمص درزياً. والإنسان في الحياة مخير وليس مسيراً، فهم يقولون بالاختيار وليس بالجبر. والعقيدة الدرزية عقيدة باطنية لا يجوز لأحد الاطلاع على الكتب الدينية للدروز. ومصدر التشريع عند الدروز القرآن والكتب المخطوطة. وهي ستة عشر كتاباً مخطوطاً لا يجوز لأحد أن يطلع عليها ما عدا مشايخ العقل[1]. وأما السنة فلا يؤخذ بها.

زهد الدروز وأدبهم

رجال الدين الدروز معروفون بالزهد الشديد والتقشف. ولكن الملاحظ أن الدروز جميعاً لا يستطيعون الأخذ بأسباب التدين فهناك (العقال) كما مر وهم مشايخ الدروز وهناك (الجهال) وهم غير رجال الدين لا يستطيعون معرفة أمور دينهم والاطلاع عليه إلا بعد امتحان شاق طويل. والزهد عند مشايخ الدروز لا يعني التواكل، بل هو هدوء وعفة، وصدق ونزاهة، وابتعاد عن الشبهات والمحرمات والشهوات، وإعراض عن بهارج الدنيا وزخارفها وبعد عن الحكام والسلطان. وتلاوة وعبادة مع توخي كسب الحلال من الرزق الذي يقيم الأود ويسد الرمق. ويطالعون أدب كبار الزهاد الصوفية أمثال معروف البلخي وذي النون المصري. والجنيد، وبشر الحافي، وإبراهيم بن أدهم وغيرهم من الصوفية[2]. وبعد جميع ما

(1) كان هذا الإفصاح من الشيخ محمد أبو شقرا شيخ عقل الدروز في لبنان.

(2) إسلام بلا مذاهب ص 245-255.

تقدم لا يزال يوجد من بين الدروز الآن من يحافظ على الصلاة بالكيفية التي يمارسها جميع المسلمين، ويترددون على المساجد، ومنهم من يؤدي الزكاة، ومنهم من يحج. وقد أحسنت الحكومة السورية صنعاً حينما عممت تعليم الديانة الإسلامية المأخوذة من الكتاب والسنة على سائر الطوائف بما فيهم الدروز وهذا خير طريق لجمع الكلمة وتوحيد الصف والله الموفق.

obeikandl.com